

أوراق مختارة

الورقة الرابعة

من أساليب معالجة الجرائم المعاصرة في المجتمعات الإسلامية:
تحقيق الانتماء للهوية الإسلامية والحفاظ عليها

إعداد

د. صالح بن عبد الله الفريح

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد وفصلين في كل منهما مبحثان على النحو التالي:

الفصل الأول: وهو بعنوان: حقيقة الهوية الإسلامية ومقوماتها:

وهو يتضمن بيان حقيقة الهوية، ومكانتها وأهميتها، والتعريف بمعنى الهوية، ثم ماهية الهوية الإسلامية، وبيان مقوماتها وما حقيقة الانتماء لهذه الهوية وصور الانتماء الشكلي.

أما الفصل الثاني: فهو بعنوان: وسائل الحفاظ على الهوية الإسلامية:

وفيه تناولت أبرز الوسائل للحفاظ على الهوية الإسلامية والتي جاءت في منهجين هامين وهما: الحماية، والبناء.

وبينت فيه المراد بالحماية وهو حماية الهوية الإسلامية والدفاع عنها، من خلال وسائل من أهمها: الدفاع المادي في التصدي للأفكار المنحرفة التي تهدف إلى طمس الهوية الإسلامية، ثم تقديم الهوية للآخرين بصورة جيدة وحسنة، جعلها مقبولة لديهم، ومنها تقديم رؤى نقدية للأفكار والمناهج المعادية للهوية الإسلامية، والتصدي للهجمات التي تتعرض لها من أعدائها، وكشف ذلك كله بأسلوب علمي رصين وطرح راقى.

أما البناء، فتناولت فيه الوسائل التي يمكن من خلالها بناء وترسيخ الهوية الإسلامية في نفوس المنتمين إليها وهي وسائل متعددة من أهمها: دور الأسرة التي تتولى التربية وغرس الهوية في المراحل الأولى من العمر، ثم التعليم ودوره الفاعل في بناء الهوية الإسلامية في نفوس الطلاب والطالبات، ثم الدعوة إلى الله تعالى التي لها دورها الفاعل في بناء الشخصية الإسلامية، وتصويب ما قد يطرأ عليها من انحرافات واستجلاب من لم يكن من أهلها، وأخيراً التثقيف الذاتي الذي يتولاه المسلم ليعرف هويته على صورتها الصحيحة فيحسن الانتماء إليها.

وختمت البحث بأبرز النتائج والتوصيات التي خلصت إليها.

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿آل عمران: ١٠٢﴾. ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿النساء: ١١﴾. ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۗ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿الأحزاب: ٧٠-٧١﴾. فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فلا يشك عاقل في أهمية الهوية لكل فرد ومجتمع وأمة، ذلك أن الهوية هي التي تعطي للفرد قيمته، وللمجتمع كيانه، وللأمة تماسكها وبقائها، والهوية هي الجانب المعنوي الأهم في الكيانات، سواء الفرد أو المجتمع أو الأمة، ولم تزل الأمم تعنى بهوياتها وتتمسك بها حتى أنها تحي القديم المندثر منها، لتجد نفسها وتحقق معنى حياتها ويدون تواجدها في واقع الحياة.

وأمة الإسلام أمة مجيدة لها هويتها المتميزة التي منحها إياه الله رب العالمين، ولم تزل هذه الهوية الإسلامية صامدة على الرغم مما واجهتها من مصاعب ونكبات على مر التاريخ الإسلامي، تلك المصاعب والهزائم والنكسات التي جعلت فريقاً من أبناء الأمة الإسلامية المنتمين لهويتها يزهدون بها ويتخلون عنها، بل وتجراً بعضهم في حربها ومحاولة تدميرها، وعلى الرغم من ذلك بقيت محفوظة بحفظ الله ورعايته.

ولعل من أهم الأدوار التي تقوم بها الهوية في المجتمعات أنها تحقق الانتماء لذلك المجتمع لدى أبنائه، فليس وجودهم ضمن هذا المجتمع وجوداً هامشياً أو عشوائياً بل هو وجود له معناه وقيمه إذ تشعر الهوية الفرد بحقيقة الانتماء مما ينعكس على أفعال الأعمال والتصرفات التي يتضح من خلالها حرص الفرد على مجتمعه؛ لأن الرابط الذي يربطه بمجتمعه له قيمته ومعناه، مما يدفعه للمحافظة على ذلك المجتمع والذب عنه وحمايته.

وفي هذا السياق تأتي ندوة المجتمع والأمن التي تنظمها كلية الملك فهد الأمنية تحت عنوان (الظاهرة الإجرامية المعاصرة الاتجاهات والسماوات)، ونظراً لأهمية الموضوع أحببت أن أشرك فيه بهذا البحث الذي يدخل ضمن المحور الثالث من محاور الندوة وهو أساليب مواجهة الجرائم المعاصرة بحث بعنوان (من أساليب معالجة الجرائم المعاصرة في المجتمعات الإسلامية: تحقيق الانتماء للهوية الإسلامية والحفاظ عليها).

ولا شك أن من أهم أساليب القضاء على الجرائم هو ما ينطلق من ذات الفاعل، ذلك أننا إذا استطعنا أن نربي الجيل على الأخلاق الفاضلة والسلوك الحميد من خلال تحقيق الانتماء الحقيقي للهوية الإسلامية في نفوسهم نكون بذلك حققنا أعلى وأقوى وسائل الردع عن سلوك طريق الجريمة؛ إذ أننا جعلنا ذلك نابع من دواخلهم فلم يفرض عليهم ذلك قسراً ولا إجباراً.

وأسأل الله أن أوفق لطرح رؤيتي في هذا البحث والله المستعان.

أسباب اختيار الموضوع:

بيان حقيقة الهوية الإسلامية من خلال إيضاح المراد بالهوية عموماً والهوية الإسلامية خصوصاً، والتأكيد على أهميتها ومكانتها وما تمثله بالنسبة للأمم والشعوب.

بيان خطورة الحرب المعنوية الموجهة ضد الهوية الإسلامية وقدمها، والتحديات التي تواجهها الهوية الإسلامية سواء في الداخل أو الخارج، وأثر ذلك على المجتمع من جميع الجوانب لاسيما الأمنية منها. إيضاح المقومات التي تقوم عليها الهوية الإسلامية والتأكيد على الثابت منها الذي لا تجتمع الأمة بدونه وهو الدين العظيم دين الإسلام، وما يتعلق به من مقومات أخرى.

التأكيد على حقيقة الانتماء وأن الانتماء للهوية الإسلامية لا بد أن يكون انتماءً حقيقياً لا وراثياً ولا مظهرياً ولا مصلحياً، إذ كلها لا تلبث أن تتبت، ولا يبقى إلا الارتباط الحقيقي.

بيان وسائل الحفاظ على الهوية الإسلامية وكيف تستطيع الأمة المحافظة عليها، على رغم ما يشنه أعداؤها من محاولات لطمسها وإزالتها، من خلال منهجين عظيمين وهما: الحماية، والبناء.

أثر تحقيق الانتماء للهوية على الفرد والمجتمع وانعكاسه الإيجابي على الأمة برمتها.

مشكلة البحث:

يمكن تحديد مشكلة البحث في بيان حقيقة الهوية الإسلامية بعد التأكيد على وجودها وأن أمة الإسلام لها هويتها الخاصة بها، لكن ما حقيقتها وما حقيقة الانتماء إليها وما هي الوسائل التي يمكن من خلالها المحافظة عليها.

منهج البحث:

سيستخدم الباحث في هذا البحث المنهج التحليلي الاستنباطي حيث تكون القراءة منصبية على موضوع البحث، وكل ما يتعلق بالهوية وكذا العولمة وكذا ما له ارتباط بموضوع الهوية، كالمؤلفات في الشخصية الإسلامية لاستخراج الفوائد ومن ثم صياغتها بعد ذلك وفق الخطوات التالية:

جمع ما تيسر من المؤلفات التي كتبت في هذا الموضوع سواء كتب أو مقالات أو أبحاث، وسواء نشرت عن طريق دور نشر أو صحف أو مجلات أو مواقع في الشبكة المعلوماتية.

إجراء دراسة تحليلية لما تم جمع من معلومات وفرزها حسب فصول البحث ومباحثه.

الاهتمام بتقسيم البحث بشكل يفيد الدراسة.

عزو الآيات والأحاديث لمواضعها.

عزو النقول نصاً أو معناً لأصحابها.

تمهيد

أول ما يوجهنا في طرح هذا الموضوع الإشكالية التي حدثت في العصور المتأخرة حول حقيقة الهوية الإسلامية ذلك أننا نجد أن أطروحات المفكرين العرب والمسلمين تتباين في قضية الهوية الإسلامية بحسب التوجيهات الفكرية والمناهج العقلية التي ينتهجونها والتي قد تصل أحياناً إلى التناقض والتناقض، ذلك أن جملة من المنتسبين للهوية الإسلامية تتوزعهم مدارس فكرية مختلفة ومناهج متنوعة^(١).

١ عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية: (١٧).

وهذا الاختلاف والتباين ترجع أسبابه إلى ما دخل على تراث الأمة من أفكار من ميراث الشعوب المختلفة التي دخلت في الإسلام^(١)، ثم التيارات الفكرية الوافدة على مر تاريخ الأمة الإسلامية بدءاً من حركة الترجمة في عصر المأمون وما جاء بعدها^(٢)، وليس الإشكال في الصحيح المنطقي من تلك الأفكار والرؤى، إذ الحق مطلب كل العقلاء، بل الإشكال فيما خالطها من أطروحات فلسفية منحرفة وأساطير وخزعبلات اغتربها البعض وأخذها أخذ قابلٍ لها، مقتنعٍ بها؛ مما تسبب في دخول الكثير من الانحرافات الفكرية في واقع الأمة الإسلامية، ومع مرور الزمن انتقلت تلك الانحرافات التي استوطنت المجتمع المسلم إلى ثقافته حتى عدها البعض جزءاً لا يتجزأ من هوية الأمة، إما لجهله بحقيقتها ومنشئها، أو لهدف ما يسعى لتحقيقه، كما أن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية المختلفة، في المجتمعات الإسلامية كان لها دور في تباين الأطروحات الفكرية المتعلقة بالهوية الإسلامية.

كل ما سبق كان له أثر في تعدد وجهات النظر بين أبناء الهوية الإسلامية في وجودها وحقيقتها ومقوماتها مما جعل الرؤية غير واضحة فيها، فلم يعد من السهل التفريق بين المحافظة والرجعية، ولا بين الأصالة والجمود، ولا بين النقي الأصيل أو الطارئ الدخيل.

ولن أتناول في هذا التمهيد إشكالية وجود الهوية والخصوصية الإسلامية من عدمها إذ أنه مما لا يختلف عليه اثنان^(٣)، فمع أننا نجد أن بعض المثقفين في العالم العربي والإسلامي يطرح هذه القضية طرحاً مختزلاً ينفي عن الأمة أهم صفة من صفاتها بل حقيقة وجودها من خلال رفضه لهويتها إلا أننا نرده إلى الظروف التي قد تكون فرضت تلك الرؤية وأوجدت ذلك الخلل السابق كالهزائم العسكرية والمعنوية التي منيت بها الأمة الإسلامية، إضافة إلى التخلف المادي التقني في مواجهة الطفرة العلمية والاكتشافات التي جعلت البعض يعتقد أن السبيل إلى تحقيق النهوض بالأمة من كبوتها والحقاق بركب الحضارة المادة هو بالتخلي عن الهوية الإسلامية؛ لاسيما وأنه يغلب عليها الفكر الديني لأنها - زعموا - تتعارض مع عقيلة عصر العلم الحديث^(٤)، حتى وجدنا من يرى أن الهوية الإسلامية تعني فكراً رجعياً^(٥)، وآخر يزعم أن الهوية وهم ينسجه السياسيون لكي تتماسك الحقيقة المفككة^(٦)، وأحسنهم حالاً يدعو إلى إيجاد بديل للهوية يمثل هجنة ثقافية أو فكرية^(٧)، ومنهم المتناقض في طرحه الذي يرى أن الهوية غير ثابتة بل يجب أن تتغير إذا أريد لها البقاء، وهذا ظاهر الاضطراب، إذ التغيير يعني عدم البقاء أو على الأقل عدم الثبات ثم هو نفسه يرى أن الغزو الثقافي مهما بلغت قوته لن يستطيع أن يلغي الهوية أو الخصوصية بشكل تام إذ لا بد من بقاء ما يدل عليها^(٨).

لكن الذي سأتناوله هنا هو تحديد الهوية الإسلامية بدقة، فالكثير ممن يزعم أنه من المنتمين لهذه الهوية وأنه أعرف الناس بها تجده مخالف لحقيقتها في الجملة أو في بعض مفرداتها المنهجية، ولأجل ذلك نجدهم

١ نفسه: (١٥).

٢ نفسه: (١٦).

٣ على عقلة عرسان: الهوية بين الجوهري والمضاف، منشور في صحيفة الوطن العمانية، ١٥/٦/٢٠٠٢م، انظر: موقع الجريدة على: www.alwatan.com.

٤ عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية: (١٣-١٤).

٥ مقال بعنوان: أي منظور لمستقبل الهوية، محمد عادل التركي.

٦ على عقلة عرسان: الهوية بين الجوهري والمضاف، منشور في صحيفة الوطن العمانية، ١٥/٦/٢٠٠٢م، انظر: موقع الجريدة على: www.alwatan.com.

٧ مجدي عزيز إبراهيم: المنهج التربوي العالمي، (ط١، ٢٠٠١م، مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة): (٢٤).

٨ تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة: (٢٢).

يتحدثون عن كنهها وحقيقتها وهم لا يدرون على التحقيق ما المراد بها أو قد يريدون غير حقيقتها^(١). كما أنه كثيراً ما يحصل في تعريف الهوية الإسلامية خلط بين ما هو من أصلها النقي وبين ما هو دخيل مدسوس عليها أو عارض طارئ لا يمكن أن يعد منها، وأيضاً قد يعرض لها سوء فهم أو جهل بها أو انحراف عنها، بسبب ما تعرضت له من محاولات تشويه على مر العصور^(٢)، كما أن التفريق في الهوية بين قضية القشور واللباب أحدث إشكالاً في التعرف إليها وخلاً في معرفة حقيقتها، لاسيما عند العامة مما أورت عندهم استخفافاً ببعض قضايا الهوية الإسلامية الأساسية التي يترتب عليها أمور تخل بالارتباط الوثيق بالهوية، ومن ذلك على سبيل المثال قضية المظهر الشخصي الذي ارتضته هذه الهوية الإسلامية للمنتميين إليها، التي جعلها البعض اليوم قضية هامشية ولم يحسنوا في ذلك إذ إن المظهر شديد الارتباط بالجوهر، وهو معبر عنه، وكاشف له، والخلل فيه خلل في الجوهر، كما أن أهل كل هوية وفكر يحرصون على مظهرهم باعتباره معبراً عن خصائص هويتهم^(٣)، مثل ذلك قد يكون بداية التخلي عنها وهو تخلي عن الأمانة التاريخية والعهد الرياني^(٤).

ومن ذلك أيضاً أسئلة عدة تطرح في هذا الإطار منها:

هل هناك تعدد للهوية الإسلامية؟ بمعنى هل يوجد منها أنماط مختلفة متباينة تبايناً قد يصل التفاوت فيه أحياناً إلى حد التناظر والتناقض كما قد يشير إليه بعض الواقع الفكري للمجتمعات الإسلامية؟^(٥). ثم هل تتعايش الهوية الإسلامية مع صورة الآخر المختلف فكراً؟ وهل الهوية الإسلامية بالتحديد صراعية أم تواصلية؟ وإلى أي مدى تقبل هذه الهوية ما نسميه التعددية الدينية؟^(٦).

والإجابة عن تلك الأسئلة يكون من خلال معرفة معنى الهوية وحقيقة الهوية الإسلامية ومقوماتها.

الفصل الأول: حقيقة الهوية الإسلامية (المعنى والمقومات)

المبحث الأول: معنى الهوية الإسلامية:

بداية لا بد أن ندرك جيداً أن الحق الذي لا يقبل الجدل هو أن قضية الهوية قضية محورية^(٧) أساسية في حياة الأفراد والجماعات والأمم، إذ من خلالها تتمكن من العيش والمحافظة على وجودها، وبدونها يتحول الإنسان إلى كائن تافه فارغ مقلد لا قيمة حقيقية له، ولأجل ذلك كان تحديد الهوية ليس ترفاً فكرياً ولا جدلاً فلسفياً، بل هو أمر هام جاد^(٨)، إذ من خلاله يعرف الفرد والأمة أهدافهم التي يُريدونها والأسلوب الذي يتوصلون به إلى تحقيق تلك الأهداف^(٩).

فالهوية في حقيقتها ليست مجرد تعريف لغوي بل هي معايير للعقل والسلوك تحدد معنى الحياة التي لا معنى لها، بدون هذه المعايير وغايات الحياة التي لا غاية لها بدونها، بمعنى أن الهوية هي إجابة لسؤال الفرد

١ عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية: (١٤).
٢ نفسه: (١٤).

٣ محمد إسماعيل المقدم، ندوة منشورة في مجلة البيان اللندنية، انظر في موقع المجلة على الشبكة العنكبوتية: www.albayan-magazine.com/Dialogues/101.ht

٤ حسين شحادة، إشكالية الهوية الإسلامية ومبدأ الحوار مع الآخر، جريدة الشرق الأوسط، ٢٤ يناير ٢٠٠١م.

٥ عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية: (١٤).

٦ حسين شحادة، إشكالية الهوية الإسلامية ومبدأ الحوار مع الآخر، جريدة الشرق الأوسط، ٢٤ يناير ٢٠٠١م.

٧ الشبكة الإسلامية، صراع الهويات وخصائص الهوية الإسلامية، منشور في موقع الشبكة الإسلامية على الانترنت (إسلام ويب) www.islamweb.com.

٨ محمد محمد بدري، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة: (٥١).

٩ نفسه: (٥١).

والجماعة عن كيف ولماذا وإلى أين؟ أي الغاية من الوجود^(١).

ومن خلال تلك المعايير تنطلق الأفعال والسلوك والتصرفات لدى المنتمي لتلك الهوية، فالتصرفات بلا شك منبعها التصورات بغض النظر عن صحتها من عدمها، وبناءً على ذلك يمكن القول: إن الممارسة والسلوك تنمي الهوية وتثريها داخل النفس وتعطيها زخماً غير عادي وتجعل المرء يشعر بقيمة؛ إذ هي ليست مجرد تصورات ذهنية جامدة ليس لها علاقة بالواقع المعاش^(٢)، بل لا بد من الارتباط بين الجانبين التصور الذهني الواعي، والتصرف الواقعي الملتمزم بذلك التصور.

إذا اتضح لدينا ذلك كان لا بد من بيان معنى الهوية وحقيقتها:

الهوية هي بضم الهاء وكسر الواو المشددة (هُويّة) ويخطئ من يفتح الهاء ويكسر الواو ويخففها لأن (هُويّة) هي البئر العميقة وجمعها هويات، كما أن الهويّة بضم الهاء وفتح الواو تصغير هُوّة، وهي كذلك البئر العميقة^(٣)، وذهب بعضهم إلى أن أصل كلمة الهويّة مأخوذ من قولهم: (هو هو) وقد ورد ذلك في حديث صفية عندما سألت عمها أبو ياسر والدها حيي (أهو هو)، وذلك عن رسول الله ﷺ^(٤).

والهوية بمعنى الماهية ولعلها مشتقة من السؤال: ما هو؟ أو ما هي؟^(٥)

ومن خلال ما سبق يتضح أن الهوية هي: حقيقة الشيء أو الشخص المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره^(٦)، فهي ماهيته وما يوصف به من صفات جوهرية وما له من خصائص ذاتية قد لا يستقل بها كلها، لكنها تمنحه بمجملها شيء من التميز عن الغير، ويمكن القول أنها مجموعة من الأوصاف والسلوكيات التي تميز الشخص عن غيره^(٧)، وهنا يجدر التأكيد على التلازم بين جانبيين مهمين في الهوية وهما جانب التصورات والتصرفات، أي الجانب الفكري الاعتقادي الذهني المعنوي والجانب الآخر الجانب العملي الواقعي، والانفصال بينهما بوجود أحدهما دون الآخر لدى الفرد لا يتيح بحال من الأحوال أن يكون انتماءه لتلك الهوية صحيحاً، فلو كان لديه قناعة وانتماء لفكر ما، أو معتقد ما ولا يتصرف بموجبه فإنه لا يمكن أن يُنسب والحال هذه إلى ذلك الفكر أو تلك الهوية، كما أن التصرف الخالي من دوافع فكرية وتصورات ذهنية منطلقة من قناعة ما، لا يمكن بحال أن تجعل المتصرف منتماً لهوية ما يندرج تحت مضامينها ذلك التصرف.

وكما أن للأفراد هوية فكذلك للمجتمع هوية وللأمة هوية، وهوية المجتمع تنطلق من أفرادها، إذ للهوية علاقة أساسية بمعتقدات الفرد ومسلّماته الفكرية وبالتالي تحدد سمات شخصية^(٨) وأطر سلوكه وتصرفاته. أما الهوية الإسلامية تحديداً فإن مسماها يشتمل على أهم مقومات معناها وهو: الإسلام، ونحن عندما

١ تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة: (١٦).

٢ تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة: (١٩).

٣ جمال الدين ابن منظور الإفريقي، لسان العرب: (٣٧٤/١٥)، (ط ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، دار صادر بيروت)، وعباس الجراري، هويتنا والعولمة، المصدر: موقعه على الانترنت: www.abbesjirari.com (نصوص مختارة).

٤ محمد إسماعيل المقدم، ندوة منشورة في مجلة البيان اللندنية، انظر في موقع المجلة على الشبكة العنكبوتية: -www.albayan-magazine.com/Dialogues/101.ht

٥ عباس الجراري، هويتنا والعولمة، المصدر: موقعه على الانترنت: www.abbesjirari.com (نصوص مختارة).

٦ محمد إسماعيل المقدم، ندوة منشورة في مجلة البيان اللندنية، انظر في موقع المجلة على الشبكة العنكبوتية: -www.albayan-magazine.com/Dialogues/101.ht

٧ الشبكة الإسلامية، صراع الهويات وخصائص الهوية الإسلامية، منشور في موقع الشبكة الإسلامية على الانترنت (إسلام ويب) www.islamweb.com.

٨ الشبكة الإسلامية، صراع الهويات وخصائص الهوية الإسلامية، منشور في موقع الشبكة الإسلامية على الانترنت (إسلام ويب) www.islamweb.com.

نتحدث عن الهويات الأخرى لأي أمة من الأمم نقف أمام تراكم من المعارف والثقافات والتجارب والصراعات والأفكار والمؤلفات والكتابات، كل ذلك يشكل المرجعية الأساسية لهويات الشعوب، وهذا بخلاف الهوية الإسلامية التي تتميز بمرجعيتها الربانية الثابتة الصحيحة والمحافظة أبد والتي تتمثل في الوحي بمصدره^(١)، وهنا نؤكد على أكثر من قضية:

أولاً: نؤكد على أن المرجعية الأساسية في الهوية الإسلامية هي للدين، ذلك أن بعضهم يحاول أن يخرج الدين من عناصر الهوية فيجعلها ذات مرجعية مادية واجتماعية وذاتية^(٢)، وهو ما لا يتوافق حتى مع مسمى هويتنا وهو: الهوية الإسلامية.

ثانياً: الوحي بمصدره الكتاب والسنة وهذا ليس على إطلاق وإنما مقيد بفهم السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان، وهذا القيد مهم للغاية وهو يخرج الفهم المنحرفة التي جاء بها أربابها زاعمين أن ذلك هو مراد الله ورسوله ﷺ ولا شك أن الذين عاصروا التنزيل، وعاشوا في ضلاله؛ هم الأدرى بمراد من بلغ الآية وتكلم بالحديث، إذ هم الذين عايشوا التشريع ووعوه، ومن ثم فلا يمكن بحال تجاوزهم إلى مناهج وأفكار حدثت بعد ذلك بسنين، ويكفي في إيضاح ذلك وتأكيد أن الله بين في كتابه رضاه عنهم وعمن سلك مسلكهم إلى يوم القيامة في قوله: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ السَّابِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِهِمْ لَبَدَّةٌ أُولَئِكَ سَلِكُوا سَبِيلَ السَّابِقِينَ سَلِكُوا سَبِيلَهُمْ لِيُبْلَىٰ أفعالهم وَلِيُكْفَىٰ إِلَهُكُمْ أَعْمَالَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٣)، فهل بعد هذا البيان يقبل المسلم بغير منهجهم وطريقتهم.

وهذا بلا شك لا يعني إلغاء الذات ولا التبعية المقيتة؛ لأن المسلم هنا ينهل من معين قدسي إلهي رباني، وليس من نتاج عقول قاصرة في الفهم تتنازعها الأهواء والأخطاء والهفات والزلات، بل هو مصدر لا يقع منه خطأ ولا زيغ؛ ولأجل ذلك يجد المنتمي لهذا المنهج ذاته في العمل به، والمساحات الواسعة في فهمه والتلقي عنه، والإبداع في إيصاله للآخرين.

ولا شك أن ذلك يعطي لهذه الهوية عمقاً تاريخياً، ويبرهن على قوتها وعظمتها؛ التي استطاعت أن تستمر عبر ما مضى من قرون وسنوات، فليست منهجاً مهترأ لم يولد إلا قبل سنوات، أو فكرياً جرى تعديله وتصويبه المرات تلو المرات، بل هو ثابت لا يحتاج في ذاته إلى التطوير والتغيير، فالذي وضعه يرى بلا حدود الزمان والمكان، ويعلم بلا عوائق من الجهل والقصور، ويختار بلا تأثر من الشهوات والانفعالات، ومن ثم يضع للبشرية كلها في جميع أزمانها وأطوارها أصلاً ثابتاً تتطور هي في حدوده وترتقي وتنمو وتتقدم^(٤).

كل ما سبق يقودنا إلى أن ندرك أن الهوية الإسلامية هوية واحدة لا تتعدد، ولا يفهم خطأ أن تعدد المذاهب الفقهية هو تعدد في الهوية وتنوع، إذ العمدة في مسألة الهوية هو ما دل عليه الكتاب والسنة من خلال فهم سلف الأمة، الذي قد يتعدد أحياناً لكنه يكون داخل الإطار العام، فلا يخرج عنها ولا يخالفها، ولذا فلا يمكن أن تكون تلك الفهم متنافرة بالكلية، إلا إذا كان فهماً خارجاً عن الكتاب والسنة، ومأخوذاً عن فلسفات منحرفة، وهو ما امتد شره حتى أصاب الثقافة الإسلامية، وأثر على هوية الأمة، فأوهم أنها يمكن أن تكون متعددة متنافرة.

١ جمال سلطان، ندوة منشورة في مجلة البيان اللندنية، انظر في موقع المجلة على الشبكة العنكبوتية: www.albayan-magazine.com/Dialogues/101.ht.

٢ تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة: (١٨).

٣ سورة التوبة: الآية (١٠٠).

٤ سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي: (٤١).

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال هو أن الهوية الإسلامية تقبل التعايش مع غيرها من الهويات داخل المجتمع المسلم، لكنها تبقى صاحبة السيطرة والمبادرة، وهذا أمر طبيعي بدهي، إذ إن صاحب الحق لا يقبل بغيره مسيطراً عليه، ولو قبل فذلك دليل على شكه فيما لديه، وهذا مما يلغي مصداقيته، والإسلام يدعو اتباعه لقبول الحق ونشره، وإنكار الباطل وردّه، والواجب على المسلم أن يوصل ما يراه حقاً إلى الآخر ويجذبه إليه، لا أن يتخلى عن قناعاته ومعتقداته، ومع ذلك فالهوية الإسلامية تتعايش مع الآخر، وتعطي له مساحة يتحرك فيها، متحفظاً بهويته دون أن تُمسّ، فهي أولاً تعترف بوجوده بل بدوام وجوده، والإسلام يختلف عن الأديان والمذاهب الفكرية التي لا مكان فيها لغير المنتمين لهويتها، بل نستطيع أن نجزم بأنه لا يوجد في غير الإسلام ما فيه من اهتمام بهذا الآخر وتفصيل للمواقف التي تتخذ معه في أحواله وأحوالهم المختلفة^(١)، وهي ثانياً تحفظ لهم وجودهم المادي كما تحفظ لهم وجودهم الفكري، وتشدد في عقوبة الاعتداء عليهم أحياناً أكثر من التشديد من الاعتداء المادي على حامل الهوية الإسلامية، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً)^(٢)، وليس ذلك فحسب بل حماهم حتى من الانتقاص والظلم والاعتداء حتى جعل رسول الأمة ﷺ نفسه خصيماً لمن فعل ذلك فقال: (ألا من ظلم معاهداً أو انتقص أو كلفه فوق طاقتة أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة)^(٣).

وظاهر ما تدل عليه هذه النصوص من حفظ ورعاية لغير المنتمين للهوية الإسلامية في المجتمع المسلم. وثالثاً فهي تحفظ عليهم هويتهم فلا يجبرون على التخلي عنها، فالله تعالى يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٤)، ويقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٥)، وهذه النصوص تفهم في إطارها الصحيح؛ ولا يفهم منها تصحيح ما هم عليه، بل إن ما هم عليه خلاف ما نحن عليه، ونعتقد أن ما نحن عليه هو الحق، ولذا نحن متمسكون به، ولكن المراد هو: أنه لا ينبغي إكراه أحد على الدخول في دين الإسلام فإنه بيّن واضح جلي، لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه وهو كاره إذ لا يفيد الدخول فيه وهو مكره مقسور^(٦).

ومع حفظ هويتهم وعدم إجبارهم على التخلي عنها تدعو وتحث أبناء المجتمع المسلم على العناية بهم ودلالتهم وإرشادهم إلى الهدى والحق وترتب على ذلك الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي يدفع المسلم للقيام بهذا الدور وتفعيله في واقعه، ففي الحديث: (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)^(٧)، و(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)^(٨).

والحديث اليوم عن الهوية الإسلامية في ظل الأزمة التي تعيشها ليس محاولة لاختراعها من عدم، أو ابتداعها بعد فقدانها، لكن المراد فقط استعادة الوعي بالهوية الموجودة، التي صارت كأنها صفحة مكتوبة؛ تراكمت عليها طبقات من الأتربة^(٩)، في ظل الفكر الوافد المحارب لهذه الهوية؛ والذي توفرت له الوسائل

١ جعفر شيخ إدريس، صدام الحضارات، مقال منشور في موقعه: www.jaafaris.com.

٢ رواه البخاري. انظر: مبارك ابن الأثير، جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ، (ط١، ١٣٧٠هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت): (٢٥٧/٣).

٣ رواه أبو داود. انظر: مبارك ابن الأثير، جامع الأصول: (٢٥٨/٣).

٤ سورة البقرة: الآية (٢٥٦).

٥ سورة الكافرون: الآية (٦).

٦ جمال الدين القاسمي، محاسن التفسير، (ط٢، ١٣٩٨هـ، دار الفكر - بيروت): (٣٢٤/٣).

٧ متفق عليه. انظر: مبارك ابن الأثير، جامع الأصول: (٤٧٢/٩).

٨ مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، (ط١، ١٤١٢هـ، دار الحديث - القاهرة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي): (٢٠٦/٤) (كتاب العلم (٤٧)، باب من سن سنة حسنة (٦)).

٩ محمد إسماعيل المقدم، ندوة منشورة في مجلة البيان اللندنية، انظر في موقع المجلة على الشبكة العنكبوتية: www.albayan-

والإمكانات المتطورة لخوض هذه الحرب وتضافر القوى العالمية عليها ، والحديث عن هذه الحرب ليس جديداً بل هو قديم قدم هذه الهوية العظيمة التي لو تعرضت هوية سواها لنصف ما تعرضت له من الحروب والهجمات والتسلط لاندثرت وكانت نسياً منسياً ، لكن هذه الهوية العظيمة محفوظة بحفظ الله لها ، الذي وهبها من مقومات التصدي والقدرة على تلقي الصدمات وتجاوزها ما يتيح لها البقاء أطول مدة ممكنة.

ولقد تعرضت الهوية الإسلامية إلى حملات غادرة عبر القرون استهدفت في المقام الأول إزالتها وتدميرها ، فإن لم يكن فالمسوخ والتشويه وقاد هذه الحملات أعداء الإسلام بما ألقوه من شبهات وما جاؤوا به من فلسفات وثقافات^(١) ، ولعل ما فعله ابن سبأ في عصر الخلافة الراشدة يلفت الأنظار إلى أن الهوية الإسلامية كانت تواجه تحدٍ خارجي وبموازاته تحدٍ داخلي ، أما الخارجي فيتمثل في الحرب التي يشنها الأعداء من الخارج ، أما الداخلي فهو التحدي الذي يقوده ويحركه ويفعله بعض المنتمين لهذه الهوية الإسلامية ، كما حصل في حركة ابن سبأ وما يحصل اليوم من بعض المنتسبين للهوية الإسلامية وبينهما أمثلة لا تحصر. أما التحدي الخارجي فلا شك أنه ظاهر في حركات معادية كثيرة سواءً عسكرية فكرية ، أو فكرية بحتة يقودها الغرب بشقيها كالاستعمار وما يصحبه ، والتصوير الذي ينطلق أربابه والقائمون به من اعتقاد مفاده: أن الثقافة والحضارة الإسلامية شريرة برمتها وليس فيها ما يمكن خلاصه بل يتوجب إزالتها ورفضها جميعاً^(٢).

ولعل مما يثير الانتباه عند تأمل موقف الغرب من هويات الشعوب هو جمعه بين موقفين متناقضين؛ فهو من جهة شديد الاعتزاز بهويته حريص عليها ، وهو من جهة ثانية رافض للاعتراف بالهويات الوطنية لشعوب العالم ، ولا شك أن هذا يمثل اغتصاباً ثقافياً وعدواناً على سائر الثقافات وما تمثله من هويات. وعلى الرغم مما سبق من هجمة شرسة على الهوية الإسلامية إلا أنها استطاعت الثبات والصمود ، فما هي مقومات هذه الهوية التي ولا بد كان لها أكبر الأثر في ذلك.

المبحث الثاني: مقومات الهوية الإسلامية:

يذهب بعض من كتب عن الهوية الإسلامية من المنتمين إليها إلى أن الهوية الإسلامية تتكون من مجموعة من المقومات التي تُشكلها وتجتمع الأمة بمختلف أقطارها عليها وهي: وحدة العقيدة ، ووحدة التاريخ ، ووحدة اللغة ، ووحدة الموقع الجغرافي^(٣) ، ويرى آخرون^(٤) أنها ترجع إلى البيئـة أو الوطن في جانبيه الطبيعي والبشري واللغة والتراث الثقافي والحضاري والدين ، ويذهب غيرهم إلى أن مقومات الهوية الإسلامية تنحصر في: اللغة بما تحمله من خصائص بوصفها حاملاً للمعرفة وأداة تفكير وتعبير وتواصل ، والعقيدة (الدين) بما تركزه من قيم وأحكام ، والعادات والتقاليد والأعراف^(٥) ، ويذهب آخرون إلى أن مقومات الهوية تتمثل في: العقيدة التي ينطلق منها الفرد بغض النظر عن صحتها ويقابلها في النظريات الوضعية في الفكر الفلسفي.

magazine.com/Dialogues/101.ht

١ عمر بن سليمان الأشقر: معالم الشخصية الإسلامية: (١٣).

٢ انظر ما كتبه دون ماكري ضمن الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في ولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٨م وأخرج بالعربية في كتاب: التصوير خطة لغزو العالم، وكان بحثه بعنوان: حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة: ص(١٢).

٣ الشبكة الإسلامية، صراع الهويات وخصائص الهوية الإسلامية، منشور في موقع الشبكة الإسلامية على الانترنت (إسلام ويب) www.islamweb.com.

٤ عباس الجراري، هويتنا والعولة، المصدر: موقعه على الانترنت: www.abbesjirari.com (نصوص مختارة).

٥ علي عقله عرسان: الهوية بين الجوهري والمضاف، منشور في صحيفة الوطن العمانية، ١٥/٦/٢٠٠٢م، انظر: موقع الجريدة على: www.alwatan.com.

القيم العالية المطلقة التي يؤمن بها المجتمع التي تتمثل في أهداف الإنسان في الحياة ونظرته للوجود والأخلاقيات والسلوكيات^(١).

ومن خلال ما سبق يمكننا القول أن مقومات الهوية الإسلامية بل كل هوية يفترض أنها تقوم على شقين أساسيين وهامين:

المقومات الثابتة التي لا تقبل التغيير ولا التبديل وتمثل صلب الهوية.

المقومات المتحركة التي لها أهميتها وقدرها، لكنها تأتي تبعاً للمقومات الثابتة أو التي قد تتشكل نتيجة تفاعل مفردات الهوية مع بعضها أو مع غيرها.

أولاً: المقومات الثابتة للهوية الإسلامية:

وهو مقوم واحد إذا نُحي لا يمكن أن نجد قاسماً آخرًا مشتركاً تتفق عليه أمة الإسلام، وتلتقي عنده، لا الأرض ولا اللغة ولا التاريخ، إذ هي في حقيقتها امتداد له، تملك قيمتها عند وجوده وتفقدتها بفقده، ألا وهو الإسلام، كمبادئ وقيم وحكم وأحكام وأخلاق وآداب وعبادات وسلوك كامل في هذه الحياة، مأخوذ من المصدرين العظيمين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والتميز هنا أن الإسلام ليس كديانات آخر عبارة عن: مجموعة من الطقوس الدينية وحسب؛ لكنه حضارة كاملة يحملها أينما ذهب لها قيمها وقوانينها التي تمتد وتتغلغل لتشمل سائر احتياجات الأفراد والجماعات، في سلوكهم وفي معاملاتهم وفي نشاطهم الفكري والعاطفي وغيرها^(٢)، ولذا نجد القرآن يدعو للحفاظ على هذه الهوية فيقول: ﴿... وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣)، فيذكر لهم الصفة المرتبطة بحقيقة الهوية وهو الإسلام ومما يدلنا على أهمية هذا المقوم الثابت هو أنه تنصهر فيه وتذوب بقية المقومات كاللغة والجنس وغيرهما^(٤).

ولفهم الإسلام وإدراك حقيقته لا بد من الرجوع إلى المصدرين العظيمين القرآن الكريم والسنة النبوية مستعينين على فهمها بالتراث الإسلامي المتعلق بهما بدءاً بما هو مأثور عن الصحابة ﷺ والسلف عموماً. ثانياً: المقومات المتحركة:

والمراد بها المقومات التي اكتسبت أهميتها ومكانتها من المقومات الثابتة، وليست مثلها في المكانة والأهمية وهذه المقومات تتضمن أموراً متعددة منها:

(اللغة - التاريخ - التراث الثقافي والحضاري - الأرض والبيئة - العادات والتقاليد ...) .

ومما يؤكد على كونها أقل أهمية من المقوم الثابت أنها جميعها تنصهر فيه، فلا إشكال في انتماء مسلم لهذه الهوية ولو كان لا يحسن العربية بطلاقة أو كان من أرض هي دار حرب أو من قوم لهم عادات وتقاليد مغايرة لما عليه عادات وتقاليد المجتمع المسلم، مع العلم أن المسلم بمجرد دخوله في الإسلام صار تاريخه الذي يعتز به تاريخ المسلمين ولغته التي يشرف بها اللغة العربية لكونها لغة القرآن والإسلام، والتراث الذي يستمد منه هو التراث الإسلامي، والأرض التي يحبها هي أرض المسلمين وبلاد الإسلام، ومن هنا امتلكت هذه الهوية الإسلامية زخمها وروعها وقوتها، ذلك أنها تملك قوة تربط أفرادها بشكل عجيب؛ حيث تذيب ما بينهم من

١ مصطفى حلمي، ندوة منشورة في مجلة البيان اللندنية، انظر في موقع المجلة على الشبكة العنكبوتية: www.albayan-magazine.com/Dialogues/101.ht.

٢ محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، (مؤسسة الرسالة - بيروت): (٤٢).

٣ سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

٤ عباس الجراري، هويتنا والعولمة، المصدر: موقعه على الانترنت: www.abbesjrari.com (نصوص مختارة).

الفوارق: الجنس، اللغة، المكان، بل تذيب حتى الفوارق الناشئة عن اختلاف الزمان لتضم هذه الأمة وحدة كونية ترد آخرها إلى أولها^(١).

من خلال ما سبق يتضح أن الهوية الإسلامية لها الأطر والحدود التي تميزها عن غيرها، ولكن هذه الأطر وتلك الحدود ليس فيها أي تضيق أو انغلاق، بل إن هذه الهوية الإسلامية عامل توسيع وانفتاح وتجاوز والتقاء^(٢)؛ لأن فيها من الشمول والسعة في المفاهيم والمفردات بحيث تتسع لرقى البشرية وتطورها ونموها وتقدمها^(٣)، من خلال مضامينها الخيرة، التي منها الاستفادة من كل نافع خير.

لكن نريد هنا أن نميز بين الاستفادة من ثقافات الأمم وفق الرؤية التي تتبع من هويتنا وبين الذوبان وفقدان الذات^(٤)، فالهوية الإسلامية لا تمنع أبناءها من الاستفادة من الثقافات الأخرى بعد أن تترسخ لديهم العناصر الأساسية في ثقافتهم ويدركون حقيقة هويتهم، وهذا المنهج في الاطلاع على ما في الثقافات الأخرى ينطلق من أهداف أهمها: الاستفادة مما لدى الآخرين من خير، ومنها أن يدرك المسلم الفرق بين تلك الثقافات وثقافته التي تمثل هويته، وذلك ليتضح له الانحراف والباطل الذي لدى أصحابها فيحذر منه ويجتنبه، أما العلوم فلا يشترط لها ذلك لأنها لا تتناقض مع الهوية الإسلامية، فهي عالمية ولا بد من الحرص عليها والاستفادة منها^(٥)، وشتان ما بين عملية المثاقفة والغزو الثقافي أو الفكري، إذ المثاقفة تنطوي على أمور إيجابية إنسانية حيوية مطلوبة، ومرغوب فيها، وتتطلع إليها الأمم وتتشددها الثقافات^(٦)، وفي تراثنا الإسلامي (الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها)، وهذا قيد مهم (الحكمة) أي المفيد النافع، أما ما لم يكن كذلك فلا حاجة إليه، ولهذا لا بد أن تكون هذه المثاقفة عملية مراقبة تختار المفيد فتأخذه وتتفع به وتتخلص من الضار وتحذر منه، أما الغزو الثقافي فعملية ممقوتة لأنها تنطوي على فعل سلب، وموقف استلاب، تقاومه الأمم وترغب عنه الثقافات^(٧).

حقيقة الانتماء للهوية الإسلامية:

من المشكلات التي تواجه الهوية الإسلامية هو ضعف الانتماء لدى كثير من أبنائها، إذ يغلب عليه الانتماء الشكلي وهو إفراز للضعف في الارتباط العقدي والاصطباغ المنهجي بالمبادئ التي تتضمنها الهوية الإسلامية، ولعل الانتماء الحقيقي يكون إذا توفرت له جملة من المواصفات التي ترتقي به من مجرد الانتماء الشكلي دون شعور بتلك الهوية في حقيقتها ومضمونها^(٨)، ولعل من أبرز تلك المواصفات ما يلي:

أن يكون انتماءً حقيقياً لا وراثياً أو لا عفويًا أو لا عاطفياً؛ لأن الإسلام منهج حياة يقوم على مفاهيم محددة عن الكون والإنسان والحياة^(٩)، فعدم إدراك هذه المفاهيم أو عدم الالتزام بمضامينها إضافة إلى غيرها من المبادئ بحيث يتحقق وعي عقد والالتزام فكري يجعله انتماءً عاطفياً عضويًا أو بالوراثة ولا يحقق

١ محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية: (٤٣).

٢ عباس الجراري، هويتنا والعولمة، المصدر: موقعه على الانترنت: www.abbesjirari.com (نصوص مختارة).

٣ سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي: (٤١، ٤٢).

٤ قراءة في عالم الشباب، الشباب والثقافة والانتماء الفكري: www.balagh.com/matboat/osrh/02.

٥ تقي الدين النبهاني: الشخصية الإسلامية، (ط١، ١٣٧٢هـ): (٣٢-٣٣).

٦ علي عقله عرسان: الهوية بين الجوهري والمضاف، منشور في صحيفة الوطن العمانية، ١٥/٦/٢٠٠٢م، انظر: موقع الجريدة على: www.alwatan.com. نفسه.

٨ فتحي يكن، ماذا يعني انتمائي للإسلام، (ط١، ١٤٠٢هـ، مؤسسة الرسالة-بيروت): (١٣٧-١٣٨).

٩ نفسه: (١٣٨).

المراد منه.

أن لا يكون انتماءً مصلحياً يهدف لتحقيق مصلحة شخصية، أو مآرب خاصة، إذ الانتماء لهذه الهوية يعني إخضاع المنتمي مصالحه لمصلحة الإسلام، وليس العكس، وهذا يربط الانتماء بالعمل ويؤكد على صدق النية لدى المنتمي^(١)، وهذا لا ينفي حصول مصالح شخصية للمنتمي بانتمائه لهذه الهوية الإسلامية؛ لكن لا يمكن بحال أن يكون الانتماء فقط لأجلها، وإن كان فلفترة يمكن للمنتمي من خلالها إدراك المعاني العظيمة لهذه الهوية، ثم تصحيح المسار فيها وتصويب التعاطي معها.

لا بد أن يكون هذا الانتماء مصيرياً؛ بحيث يرتبط مصير المنتمي بمصير تلك الهوية، فهو ليس انتماءً مرحلة وينتهي، أو ظرف فيزول، بل هو انتماء مؤبد لا انفكاك منه ولا تراجع عنه ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٢).

الفصل الثاني: وسائل الحفاظ على الهوية الإسلامية

تمهيد

عندما يشعر المرء بأن خطراً ما يهدد به فإنه يسعى جاهداً لدرء الضرر عن نفسه بالوسائل المتاحة، التي تضمن له أو يمكن أن تضمن له -السلامة من ذلك الخطر، وإذا استشعر المسلمون أن هويتهم مهددة بالخطر، وأن هناك من يسعى لتدميرها، أو مسخها، وأن ذلك التدمير أو المسخ سوف ينعكس سلباً على واقع المجتمعات الإسلامية من جميع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والسياسية، وأهمها الأمنية التي من خلالها يتحقق الاستقرار والأمن في المجتمع كان لا بد من أن يبذلوا الجهود في حمايتها، والذب عنها، بالوسائل المتاحة دون كلل أو ملل؛ وإلا فقدوا معنى وجودهم، وسبب بقائهم، واستحالة مجتمعاتهم إلى فوضى ودمار.

وعند التأمل في الوسائل المتاحة للحفاظ على الهوية الإسلامية نجد أنها تنقسم إلى منهجين عظيمين يمكن أن تنتهج للحفاظ على الهوية الإسلامية، ولكل منهج منهما طريقته ومفرداته ووسائله التي تتكامل وأحياناً تتداخل مع المنهج الآخر وهذان المنهجان هما:

أولاً: الحماية والدفاع.

ثانياً: البناء والتأسيس.

المبحث الأول: الحماية والدفاع:

والمراد به رد المحاولات التي تسعى لطمس معالم الهوية الإسلامية؛ من خلال تشويهها، وتغيير معالمها، بحيث يلتبس الأمر فيها على أبناء هذه الهوية وهم المسلمون، وعلى غيرهم، أو من خلال حماية المجتمع من الغزو الثقافي؛ الذي هو في حقيقته: اغتصاب ثقافي وعدوان فكري، يهدف إلى إحلال ثقافة مكان ثقافة، أو مسخ الهوية دون وجه حق أو هدف سام، ولعل من الوسائل التي يجب اتباعها في هذا المنهج ما يلي:

أ (الوسائل المادية التي تحمي المجتمع من الغزو الثقافي؛ الذي يسعى لسلب هوية الأمة وطمسها، ولا عجب فالأمم التي تريد أن تبقى يجب عليها أن تحافظ على هويتها فتبذل كل ما من شأنه تحقيق ذلك، حتى لو

١ نفسه: (١٣٩).

٢ سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

كان بالمنع المادي من غزو الثقافات الأخرى؛ في أطر محددة ومنضبطة؛ بحيث لا تحدث في الواقع مشكلة أخرى؛ وهي الانغلاق على الذات، ولذلك لما رأى الفرنسيون أن اتفاقية الجات تؤدي إلى دخول المواد الثقافية الأمريكية بمعدلات كبيرة لفرنسا؛ وهو ما يشكل تهديداً صارخاً لهويتهم القومية؛ رفضوا التوقيع على الجزء الثقافي من الاتفاقية، وطالبوا بتخفيض تلك المعدلات^(١)، وهذا لأجل توفير الحماية لهويتهم التي يعتزون بها، وأما الهندوس في الهند فيقومون بمنع بيع الزهور في يوم عيد الحب (فالنتين) وإحراق المحلات التي تباعه؛ لأن ذلك ليس من الهندوسية ويحارب الثقافة الهندية^(٢).

ولا شك أن هذه الخطوة مهمة للغاية في توفير الحماية للمجتمع والأمة من الغزو الثقافي، قد لا تكون هي الخطوة الأولى؛ لكنها خطوة مهمة في مجال الحماية والدفاع عن الهوية الذاتية، لاسيما مع فئات من أبناء المجتمع لا بد لهم من هذه الطريقة؛ وهم العوام الذين لا يملكون معرفةً بهويتهم، مما يجعل انحرافهم عنها مؤكداً إذا ما تعرضوا لشيء ولو قليل من الغزو الثقافي، ومن المهم هنا التأكيد على التفريق بين الانغلاق التام والانكفاء على الذات وبين الاستفادة من الثقافات الأخرى بأخذ النافع فيها وتجنب الضار غير النافع، وكذا التفريق بين المعارف العامة والثقافة المتعلقة بهوية الأمة والمنعكسة على سلوك أفرادها وبين العلوم التطبيقية الدنيوية التي تعد تجارب بشرية، وخبرات إنسانية، ترك الله للبشر تنميتها والترقي فيها، التي تأتي على خلاف الهداية الإلهية في العقيدة، والشريعة، والأخلاق، والحكم؛ فهي من الله وحده^(٣)، إدراك هذا سيفيد في أن تظل هويتنا الثقافية قوية لا تؤثر فيها أية مؤثرات خارجية؛ طالما نحن نمتلك المنهجية المتميزة المترنة، والعقول القادرة الواعدة، التي تستطيع أن تحك بالثقافات الأخرى، وتفتح عليها لتتصل من منابعها الصافية وتبتعد، ولا تقترب من مياهها العكرة^(٤).

ب) تقديم رؤى نقدية للأفكار والنظريات المعادية للإسلام المطروحة في الواقع الثقافي، وحل الإشكالات الفكرية التي يثيرها خصوم الهوية الإسلامية حولها بروح علمية مقنعة تتجنب الإغراق العاطفي، ليتسلح الشباب المسلم بالوعي الثقافي، فيمتلكوا الأسس والقواعد الثقافية الإسلامية، ويكونوا على درجة كافية من فهم نقاط الضعف في الفكر المعادي، ثم يكونوا قادرين على المواجهة، ورد الإشكالات والطعون الموجهة للفكر الإسلامي^(٥)، ولا بد هنا من التأكيد على أن الطرح والمعالجة لا بد أن تكون منطوقية وواعية، تتميز بأنها علمية مشتملة على البراهين الصحيحة القيمة، والحجج الواضحة البينة^(٦)، بعيدة -إلا بقدر الحاجة- عن العاطفة والحماس الذي لا يلبث أن يتبخر في الهواء.

ج) تقديم الهوية الإسلامية للآخرين والتعريف بها على حقيقتها، وأن لا يُنظر حتى يُقدمها أعداؤها بشكل مزريء وضعيف، ما فيه من الخلل والخطأ أكثر مما فيه من الصواب، فهذا أهم وسائل حمايتها والدفاع عنها، إذ أن التعريف بهذه الهوية يقطع الطريق على الطاعنين بها المحاولين تشويه صورتها، وهذا بلا

١ الشبكة الإسلامية، صراع الهويات وخصائص الهوية الإسلامية، منشور في موقع الشبكة الإسلامية على الانترنت (إسلام ويب) www.islamweb.com. نفسه.

٢ عمر بن سليمان الأشقر: معالم الشخصية الإسلامية: (٢٧-٢٨).

٣ مجدي عزيز إبراهيم: المنهج التربوي العالمي: (٢٣).

٤ قراءة في عالم الشباب، الشباب والثقافة والانتماء الفكري: www.balagh.com/matboat/osrh/02/.

٥ علي عقله عرسان: الهوية بين الجوهري والمضاف، منشور في صحيفة الوطن العمانية، ١٥/٦/٢٠٠٢م، انظر: موقع الجريدة على: www.alwatan.com.

شك أنفع وأجدي من الانغلاق على الذات؛ لأنه لا ينكأ العدو ولا يجلب الصيد^(١)، ولأجل ذلك ذهب البعض إلى أن الدفاع يكون بتقديم مضامين الهوية الإسلامية بصورة جيدة مستصحبين في ذلك أموراً:

لا بد من الاعتزاز بهويتنا الإسلامية، ووجود القناعة الكاملة بأن لدينا ما يفيد العالم أجمع ويهديه، وأنا نمتلك أدوات الحضارة بكل أوجهها، ولا بد أن نعي أن فاقد الشيء لا يعطيه، فالذي فقد القناعة بمضامين هويته؛ ماذا سيقدم للآخرين وهو لا يملك شيئاً يقدمه.

لا بد من أن ننظر للثقافات الأخرى بما تستحقه، وهنا ينبغي التأكيد على أن الانبهار بالغرب والانجذاب غير العادي إليه؛ مما لا يساهم في تحقيق هذه الوسيلة؛ لحماية الهوية الإسلامية، ولا بد من القضاء على أسطورة الثقافة العالمية، فكل ثقافة مهما ادعت أنها عالمية تحت تأثير أجهزة الإعلام؛ فإنها نشأت في بيئة محددة في عصرٍ تاريخيٍّ معين، ثم انتشرت خارج حدودها^(٢)، وأن العبرة ليست بالقوى المادية الموازية، ولا بالانتشار الواسع، بل بالمضامين التي تعطي الثقافة قيمتها ومكانتها.

مخاطبة الناس على قدر عقولهم وبما يعرفون، وليس مرادي هنا فقط المضمون، بل أيضاً الأسلوب، فنحن نحتاج إلى أن يرانا الآخرون بصورة حسنة وجيدة، فلا يكفي أن يكون الحق معك ليقبل بك الآخرون، بل لا بد من أن يُقدم الحق لهم بطريقة حسنة وجيدة تجبرهم -أحياناً لروعتها- على القبول بها والتجاوب معها، أو على الأقل عدم المجاهرة بعدائه، ويتم ذلك من خلال التعرف على المناهج الفكرية لدى المخاطبين؛ لنتمكن من خلالها الوصول إلى الطريقة التي يتم بها إقناعهم بما لدينا، ومن ذلك تبني المنهج الشمولي في فهم الإسلام ومن ثم طرحه للعالمين، وهذا المنهج هو المنهج الذي يجمع بين العقيدة والشريعة والسلوك والحركة والبناء الحضاري وفق منهج واعٍ وأصولي سليم.

ومن هنا يجدر التأكيد على قضية هامة وهي أن الخصوصية أو الهوية الذاتية المستقلة لا تعني بحال من الأحوال العزلة والانكفاء على الذات، بل تعني التعاطي مع الآخرين، لإيصال الخير إليهم، والاستفادة مما لديهم من خير وتميز، وبهذا يتم الامتزاج الخيّر والتعاطي المفيد بين البشر^(٣).

المبحث الثاني: البناء والتأسيس:

والمراد بناء النفس وترسيخ الهوية الإسلامية فيها، ولا شك أن هذه الوسيلة تعد الوسيلة الأهم لزرع مضامين الهوية في نفوس أبنائها وبناء التصورات المتعلقة بالكون والإنسان والحياة وفق تلك الهوية، ومن المؤكد أننا اليوم بأمس الحاجة إلى بناء الشخصية الإسلامية من جديد، معتمدين في ذلك على المصادر الثابتة والمقومات الراسخة للهوية الإسلامية^(٤)، ينهض بذلك مؤسسات المجتمع والأمة، ويتحمل كل منها دوره المنوط به في ذلك، فالأسرة لها دورها الأولى في وقت متقدم، ثم المراكز التربوية والتعليمية والتثقيفية بمختلف أشكالها وأنواعها، وبمختلف الأنشطة والأدوار التي تساهم بها في بناء الشخصية الإسلامية وترسيخ الهوية فيها^(٥)، معتمدين في ذلك على المقومات الثابتة للهوية الإسلامية أولاً وهي الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة،

١ مقتبس بتصرف من حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد: (١٥٤٧-١٥٤٨)، (ط١)، ١٤١٢، دار الحديث القاهرة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢ حسن حنفي، الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية، (مشتورات جامعة فلادلفيا، ١٩٩٩م، بعنوان: العولمة والهوية): (٣٦، ٣٧).

٣ مجدي عزيز إبراهيم: المنهج التربوي العالمي: (٢٥).

٤ عمر بن سليمان الأشقر: معالم الشخصية الإسلامية: (١٤).

٥ قراءة في عالم الشباب، الشباب والثقافة والانتماء الفكري: www.balagh.com/matboat/osrh/02/

ولعل من أبرز الوسائل في ذلك ما يلي:

أ) أن تهض الأسرة بدورها الحقيقي في التربية وغرس الهوية الإسلامية في ذات الفرد منذ الولادة، فالأم والأب وذوي القربى تعد المصادر الأساسية للتربية والمعرفة، تلك التربية التي يجب أن تسعى إلى صياغة الفرد صياغة إسلامية، وتعدّه إعداداً كاملاً، من حيث العقيدة، والأخلاق، والقيم، والمشاعر، والذوق، والفكر، والمادة، بحيث تستطيع الأسر جميعاً أن تكون أجيالاً تشعر بانتمائها للهوية الإسلامية وتعيشه وتعتر به، ولا شك ولا ريب أن بناء الهوية لدى الشباب ترتكز على صور الذات لديه التي تتربى وتترعرع بواسطة تربية والديه ومربييه وأخوانه.

ولقد عُني الإسلام بغرس الهوية الإسلامية في تلك النفس وهي غضة طريقة، وذلك بفرض التكاليف الشرعية في فترة مبكرة من حياة المسلم، وذلك منذ البلوغ ولم يكتف بذلك؛ بل فعل دور الأسرة في ذلك، فأمر الأولياء بالمتابعة والإشراف على الالتزام بتلك التكاليف التي يساهم الالتزام بها في أن يجعل انطلاق الشباب في الحياة متمسماً بالمسؤولية، ولترسيخ ذلك جعل ثواباً وعقاباً على حسب الالتزام بتلك المبادئ.

ب) العناية بالتعليم؛ ولا شيء أقوى ولا أعظم في غرس الهوية الإسلامية في النفوس من التعليم، إذ العلاقة بينه وبين الهوية علاقة وثيقة متلازمة، فمتى كان التعليم قوياً مرتبطاً بالهوية ناهلاً منها، له أصوله الراسخة، وقواعده المتينة، وشموله الواسع، ومعايشته لشؤون الحياة، وارتباطه بواقع الناس، أثرٌ ولا شك في حفاظ الناس على هويتهم؛ وتمسكهم بدينهم، ولأجل ذلك كانت عناية الإسلام بالتعليم بالغة^(١)، ومن البديهي والأمر كذلك أن من أخطر أساليب طمس الهوية الإسلامية، ومسخها هو: (تسميم الآبار المعرفية) التي تستقي منها الأجيال، والمراد تخريب مناهج التعليم بكافة مراحلها، وهذا ما يسمى بصراحة (تجفيف منابع الإسلام)^(٢)، عند ذلك يتم صياغة جيل وفق توجه معين لا علاقة له بهويته الإسلامية، إلا علاقة اسمية فقط، ويزيد الأمر سوءاً إذا كان ذلك في ظل احتلال كما حصل في مصر مطلع القرن الماضي، حيث أصبح التعليم فيها يجري على تخطيط غربي، رسمه الاستعمار، وأشرف على تنفيذه بنفسه، أو بأيدي صنائعه من الأصدقاء والعملاء^(٣)، وقد كان لها الأثر البالغ على واقع المجتمع حتى قال أحد أساطينه الإنجليز^(٤): «إن الحقيقة أن الشباب المصري الذي قد دخل في طاحونة التعليم الغربي، ومر بعملية الطحن يفقد إسلاميته، وعلى الأقل أقوى عناصرها وأفضل أجزائها؛ إنه يتجرد عن عقيدة دينه الأساسية»^(٥)، ويكفي دلالة على خطورة التعليم في التأثير على الهوية أن القس دنلوب تمكن في عشرين سنة من تخريب العقول والنفوس والضمائر والعواطف من خلال سياسته التعليمية بصورة ما كانت بريطانيا تحلم بتحقيق ربعها لو جندت في سبيل ذلك مليون جندي بريطاني^(٦).

١ بدر بن ناصر البدر، أهمية التعليم في الحفاظ على الهوية الإسلامية، مجلة الجندي المسلم، العدد: ١١٥، التاريخ ٢٠٠٤/٥/١م، انظر موقع المجلة على شبكة المعلومات: www.jmuslim.naseej.com

٢ محمد إسماعيل المقدم، ندوة منشورة في مجلة البيان اللندنية، انظر في موقع المجلة على الشبكة العنكبوتية: www.albayan-magazine.com/Dialogues/101.ht

٣ محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية: (٤١، ٤٢).
٤ كرومر.

٥ محمد إسماعيل المقدم، ندوة منشورة في مجلة البيان اللندنية، انظر في موقع المجلة على الشبكة العنكبوتية: www.albayan-magazine.com/Dialogues/101.ht

٦ محمد إسماعيل المقدم، ندوة منشورة في مجلة البيان اللندنية، انظر في موقع المجلة على الشبكة العنكبوتية: www.albayan-magazine.com/Dialogues/101.ht

ولأجل ذلك كان لا بد من العناية البالغة بالعلوم التي من شأنها ترسيخ الهوية الإسلامية لدى الفرد المسلم؛ لأنها هي التي تمنحه الانتماء الحقيقي، الذي يبقى ولا يزول لأمته ووطنه، لاسيما إذا استشعرنا التوجيهات الدينية لأعداء الأمة؛ مهما أظهروا الابتعاد عن ذلك والسلامة -بزعمهم- منه، لكنه يظهر في فلتات ألسنتهم وثأيا حديتهم: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَاعْرِفْتُهُمْ بِسَمِهِمْ^١ وَتَعْرِفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ^٢...﴾^(١)، وهذا يؤكد على العناية بالتعليم النابع من مصادر الهوية الإسلامية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، كالعناية بحلق تحفيظ القرآن الكريم، وإنشاء المدارس التي تعني بكتاب الله وتوفير الإمكانيات سواء الحكومية أو الأهلية لها، وكذا الاهتمام بالمدارس الدينية التي تُرسخ لدى المسلم انتماءه لهويته الإسلامية، وكذلك العناية بعلوم الشريعة والاهتمام بها في وسائل الإعلام وفتح المجال للدراسات المسائية ليتزود الناس من معرفة دينهم ومضامين هويتهم ليكونوا أكثر تمسكاً بها.

ومن هذا الشأن أيضاً تقليص وجود المدارس الأجنبية التي تعمل في البلدان الإسلامية والتي تدعم هوية غير هويتها؛ بل تساهم بكل فاعلية في طمس الهوية الإسلامية وتربية الجيل على هوية أخرى، ومحاولة تشويه الهوية الإسلامية.

(ج) العمل بمضامين الهوية، وعدم تجاهلها، أو الانحراف عنها، فلا يكف مجرد العلم والإيمان والانتماء للهوية الإسلامية، بل لا بد أن يتبع ذلك ما يدل على صدق هذا الانتماء؛ وهو العمل بمضامين تلك الهوية، والالتزام الصادق الجاد بها، إذ دعوى الانتساب لهوية ما سهل ميسر؛ إذا كان بمجرد الزعم الظاهر، والنطق باللسان، لكن الالتزام بالمضامين يؤكد صدق الانتماء وفي تراثا الإسلامي: « ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ».

(د) التثقيف الذاتي بما يساهم في ارتباط المسلم بهويته الإسلامية، وهذا مسؤولية الفرد المسلم إذ عليه أن يخصص وقتاً ليحصل من الثقافة والفكر الإسلاميين ما يربطه بهويته^(٢)، ومن خلال ذلك يتم بناء الشخصية الإسلامية الملتزمة بالهوية الإسلامية، فكراً وعملاً وسلوكاً، وفي كتاب الله التأكيد على هذه المسؤولية الذاتية: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَهْمَهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾^(٣)، والمراد هنا العلم والعمل^(٤).

(هـ) الدعوة إلى الله تعالى: وهذا من أهم ما يساهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية، إذ إن هذه الوسيلة تساهم في نقل المفردات من الهوية الإسلامية إلى الآخرين؛ من شخص لآخر، ومن جيل لآخر ومن مجتمع لآخر، فتمتد امتداد الزمان وتنتشر انتشار البشر مما يورث لها رسوخاً وبقاءً^(٥)، ولأهميته جعل الإسلام هذا الواجب ليس واجب فرد أو فئة في المجتمع المسلم، بل هو واجب على جميع أبناء الأمة الإسلامية رجالاً ونساءً، كلهم مطالبون شخصياً بنشر دعوة الإسلام بنفس الغيرة والتصميم وحب التضحية التي كان عليها رسول

١ سورة محمد: الآية (٣٠).

٢ قراءة في عالم الشباب، الشباب والثقافة والانتماء الفكري: www.balagh.com/matboat/osrh/02/

٣ سورة الشمس: الآية (٧-١٠).

٤ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (٦٣٣/٧) (ط١، ١٤٠٨هـ، مكتبة الهدى الإسلامية - الخبر، مكتبة الخلفاء للكتاب الإسلامي - الرياض).

٥ عمر بن سليمان الأشقر: معالم الشخصية الإسلامية: (٢٩، ٣٠).

من خلال هذه الوسيلة يتم تصويب الانحرافات التي يقع فيها بعض المنتمين للهوية الإسلامية، بحيث يحقق الانتماء بشكل صحيح، كما أنها تضيف إلى المنتمين إليها أفراداً ما كانوا في السابقين من المنتمين إليها، فهي دعوة عامة للتصحيح من المسلك، واستجلاب من لم يكن ضمن دائرتها، وهذا بلا شك يعد من التقدم بمكان فلا يكف مجرد الدفاع والذب والحماية، بل لا بد أن يملك أصحاب الهوية الإسلامية زمام المبادرة فيوصولها للآخرين ويعرفوهم بها ويدلوهم عليها فهي الحق الذي لا يقبل الله إلا سواء.

الخاتمة

(أ) أبرز النتائج:

بحمد الله تم هذا البحث الذي يدور حول حقيقة الهوية الإسلامية ومقوماتها والانتماء الحقيقي إليها، وتناول أيضاً وسائل الحفاظ عليها من خلال منهجين هامين وهما: الحماية والدفاع عن مفرداتها، ثم البناء والتأسيس والعطاء الذي من خلال وسائلهما يمكن الحفاظ على الهوية الإسلامية ولعلي هنا أوجز أبرز نتائج البحث وهي كما يلي:

أهمية تحقيق الانتماء للهوية الإسلامية في الحفاظ على أمن المجتمع؛ لأنه ضابط ينبع من داخل النفس فيردعها عن الإخلال بالأمن ويدفعها للحفاظ عليه.

أن الهوية الإسلامية حقيقة لا جدال فيها، وتتبع أهميتها من مقوماتها التي يأتي على رأسها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

هناك من يحاول أن يلغي وجود الهوية الإسلامية من أعدائها في داخل المجتمع المسلم وخارجه، والهدف جعل أمة الإسلام تابعة منقادة، والقضاء على الإسلام الذي أفزعت عقيدته الأعداء، فإن لم يكن القضاء فالطمس والتشويه والإفساد، كما أن ذلك يفقد المجتمع المسلم أمنه واطمئنانه.

الانتماء للهوية الإسلامية ليس انتماء بالوراثة أو انتماء عاطفي أو مصلحي، بل هو انتماء حقيقي كامل مصيري لا رجعة فيه ولا نكوص عنه، وبدونه يُلغى وجود الأمة.

معنى الهوية يتضمن القناعات الفكرية التي تميز الناس بعضهم عن بعض، والتطبيقات السلوكية والتصرفات العملية النابعة من تلك القناعات، فيتلازم في الهوية الأمران التصورات والتصرفات، وتختلف أحدهما عن الآخر يجعل الانتماء للهوية لا حقيقة له.

لحفاظ على الهوية الإسلامية طرق متعددة ومناهج مختلفة، أبرزها الحماية والذب عنها والبناء والإصلاح لها.

من أبرز الوسائل لحماية الهوية الإسلامية: استخدام القوى المادية في دفع الفكر الغازي المنحرف من أن ينخر في جسد الأمة فيفسد على العامة هويتهم، بتشكيكهم فيها وخلخلة انتمائهم لها، وكذا دور العلماء في تقديم الرؤى النقدية للأفكار والنظريات المعادية للإسلام، وتكوين ملكة عند الشباب المسلم

١ طالب ألب، الدعوة إلى الإسلام، منشور ضمن (الدعوة الإسلامية: أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في كينيا عام ١٤٠٢هـ): ص(٢٩٦).

للتصدي لهذه الأفكار، ومواجهة الهجمات الفكرية المنحرفة بمنهجية علمية قادرة على التصدي لها، وتقديم الهوية الإسلامية بصورة جيدة متميزة، ولتكن لنا المبادرة والإقدام لنظهر للناس جميعاً حسن ما نملك وروعة ما خصنا الله به.

ومن أبرز وسائل البناء دور الأسرة في التربية وغرس الهوية الإسلامية في نفس الطفل منذ صغره، ثم دور التعليم والمحاضن التربوية وبيان أهميتها وخطورة التفريط فيها وأمثلة الواقع في مصر تدل على ذلك، ثم أهمية العمل والدعوة والتثقيف الذاتي ودورها في الحفاظ على الهوية الإسلامية للفرد وامتدادها للآخرين كما في الدعوة إلى الله تعالى.

ب) أبرز توصيات البحث:

لا بد من العناية بغرس الهوية الإسلامية في قلوب أبناء الأمة واتخاذ الوسائل لذلك ومن أهمها.

أ) تفعيل دور التعليم في العناية بالهوية الإسلامية وغرسها في قلوب الطلاب والطالبات منذ نعومة أظفارهم في المراحل الأولية، وكذا على مدى المسيرة التعليمية لهم، وذلك من خلال تعريفهم بحقيقة دينهم والعناية باللغة العربية، والتاريخ الإسلامي.

ب) تفعيل دور الإعلام في خدمة الهوية الإسلامية وترسيخها في قلوب أبناء الأمة الإسلامية وممارسة الدور الهام في هذا الجانب فإن لم يكن فليس أقل من أن لا يُستخدم لعزل أبناء الأمة عن هويتهم.

ج) تفعيل دور الأسرة المسلمة للقيام بدورها في تربية الأبناء والبنات على محبة الهوية الإسلامية ومعرفتها من خلال برامج تثقيفية للأباء والأمهات.

الهوية الإسلامية تجمع أبناء الأمة على الرابط الأعظم الذي متى ما ترسخ فإنه لا يعدله رابط آخر مهما كان، والملاحظ أن أمم الأرض بدأت ترجع إلى هذا الرابط وتؤكد عليه لقوته ومثابته، وليس آخر ذلك رفض الفاتيكان انضمام تركيا المسلمة للاتحاد الأوروبي بسبب إسلامها(١)، فالعناية بالروابط الأرضية لا يمكن أن يقدم للأمة ما يقدمه الرابط الإلهي العظيم.

وجوب التصدي للمناوئين للهوية الإسلامية في الداخل والخارج وكشف عوارهم وإظهارهم على حقيقتهم لأجل أن لا يغتر بهم مغتر.

لا بد من تقديم الهوية الإسلامية لأهل الأرض قاطبة على صورتها الحقيقية وإزالة ما نسج حولها من مفاهيم خاطئة وأفكار مشوشة، وذلك بمختلف اللغات الأرضية.

المراجع والمصادر

- بدر بن ناصر البدر: أهمية التعليم في الحفاظ على الهوية الإسلامية، مجلة الجندي المسلم، العدد: ١١٥، التاريخ ٢٠٠٤/٥/١م، انظر موقع المجلة على شبكة المعلومات: www.jmuslim.naseej.com.
- تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقى - بيروت.
- تقي الدين النبهاني: الشخصية الإسلامية، ط١، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.
- التصير خطة لغزو العالم، (الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في ولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٨م.
- جعفر شيخ إدريس، صدام الحضارات، مقال منشور في موقعه: www.jaafariris.com.
- جمال الدين ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، ط١، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، دار صادر - بيروت.
- جمال الدين القاسمي، محاسن التفسير، (ط٢، ١٣٩٨هـ، دار الفكر - بيروت).
- حسن حنفي: الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية، ضمن أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون (الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية)، ٤-٦ آيار (مايو) ١٩٩٨م. منشورة تحت عنوان: (العولمة والهوية)، مراجعة: صالح أبو أصبع، عز الدين المناصرة، محمد عبيدالله، منشورات جامعة فلادلفيا ١٩٩٩م.
- حسين شحادة: إشكالية الهوية الإسلامية ومبدأ الحوار مع الآخر، جريدة الشرق الأوسط، ٢٤ يناير ٢٠٠١م.
- سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي، ط١٢، دار الشروق - القاهرة.
- الشبكة الإسلامية، صراع الهويات وخصائص الهوية الإسلامية، منشور في موقع الشبكة الإسلامية على الانترنت (إسلام ويب) www.islamweb.com.
- صحيفة المدينة السعودية، ملحق الرسالة، يوم الجمعة ١٤٢٥/٧/٤هـ.
- طالب ألب، الدعوة إلى الإسلام، منشور ضمن أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في كينيا عام ١٤٠٢هـ.
- عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ): الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية، دار العلم للملايين - بيروت.
- عباس الجراري: هويتنا والعولمة، المصدر: موقعه على الانترنت: www.abbesjirari.com (نصوص مختارة).
- عبدالرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ط١، ١٤٠٨هـ، مكتبة الهدى الإسلامية - الخبر، مكتبة الخلفاء للكتاب الإسلامي - الرياض).
- علي عقلة عرسان: الهوية بين الجوهري والمضاف، منشور في صحيفة الوطن العمانية، ٢٠٠٢/٦/١٥م، انظر: موقع الجريدة على: www.alwatan.com.
- عمر بن سليمان الأشقر: معالم الشخصية الإسلامية، دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن، ط٧، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- فتحي يكن: ماذا يعني انتمائي للإسلام، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٨، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- قراءة في عالم الشباب، الشباب والثقافة والانتماء الفكري: www.balagh.com/matboat/osrh/02/

-
- مبارك ابن الأثير، جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ، (ط ١، ١٣٧٠هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت).
 - مجدي عزيز إبراهيم: المنهج التربوي العالمي، (أسس تصميم منهج تربوي في ضوء التنوع الثقافي)، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ٢٠٠١م.
 - محمد محمد بدري: الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، دار الرسالة-القاهرة.
 - محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية، (مؤسسة الرسالة - بيروت).
 - ندوة بمجلة البيان شارك فيها مجموعة من العلماء: محمد إسماعيل، جمال عبدالهادي، جمال سلطان، د. مصطفى حلمي. موقع المجلة على الإنترنت:
- www.albayan-magazine.com/Dialogues/101.ht